بين التجديد والتبديد

محمد أبو زيد الدمنهوري نموذجا

دكتور

علـــي جمـــعة

عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

مؤتمر
كلية
الدراسات
الإسلامية

مؤتمر
كلية
الدراسات
الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

مؤتمر
كلية
الدراسات
الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

بين التجديد والتبديد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد: فإن التجديد أمر مهم في الإسلام يختص أساسا بختم النبوة، فحتى يصلح الإسلام لكل زمان ومكان لابد من الاجتهاد، ولا بد من إدخال الواقع المتغير المتطور المتدهور في بعض الأحيان المتشابك في إيقاع هذا الاجتهاد في حياة الناس، من أجل الوصول إلى تحقيق المقاصد الشرعية والمصالح المرعية مع الالتزام بهوية الإسلام التي يمثلها الإجماع ومع الالتزام بقانون اللغة العربية التي جاءت بها النصوص المقدسة من كتاب وسنة.

فلا بد من إدراك النص وإدراك الواقع والقدرة على الوصل بينهما تحت هذه المظلة التي ذكرناها، وكل ذلك لأنه لا نبي ولا رسول بعد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فلا بد أن يكون الدين مرنا للبقاء في كل الأحوال وفي كل زمان ومكان ومع جميع الأشخاص.

قال تعالى: (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ)[الأحزاب: ٤٠]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لاَ نَبِىَّ بَعْدِى وَلاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِى عَلَى الْحَقِّ". [رواه أبو داود]

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ فِيمَا أَعْلَمُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ « إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا ». [رواه أبو داود]

وفي حديث معاذ قال له رسول الله صلى الله عليه وسم لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَبْعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: «كَيْفَ تَقْضِى إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ ». قَالَ أَقْضِى بِكِتَابِ اللَّهِ. قَالَ « فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِى كِتَابِ اللَّهِ ». قَالَ فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم–. قَالَ « فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– وَلاَ فِى كِتَابِ اللَّهِ ». قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِى وَلاَ آلُو. فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– صَدْرَهُ وَقَالَ « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَا يُرْضِى رَسُولَ اللَّهِ ». [رواه أبو داود]

إلا أن بعض الناس عن قصد طيب أو قصد خبيث يتصدر قبل أن يتعلم ويقدم نفسه قبل أن يفهم ، ويحاول الإتيان بشيء جديد فيخرج عن نطاق التجديد إلى ورطة التبديد، وهذه النماذج يتصدر لها العلماء العدول الذين ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عنهم : "يرث هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه: تأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، وتحريف الغالين". [رواه البيهقي في سننه الكبرى]

والمبدد له نماذج في عصرنا الحاضر متكررة ونظنها لا تنتهي، ومن تلك النماذج في القرن الرابع عشر الهجري محمد أبو زيد الدمنهوري الذي نبهنا على حاله، والذي قد لا يعرفه كثير من الدارسين، وندعو الباحثين إلى جمع تلك النماذج والغوص في أسباب انحرافها عن التجديد إلى التبديد، ورسم هيكل لأسباب هذا الانحراف، بحيث يكون بحثنا هذا هو نقطة البدء والتنبيه إلى ذلك الموضوع المهم .

وفي حالة أبي زيد الدمنهوري فيبدو أنه قد تأثر بما شاع من الدعوة إلى الأفكار الغربية في زمنه (١٩٣٠م – ١٣٥٠هـ) فأراد أن ينصر الإسلام بالنفي لا بالإثبات، فأنكر نبوة آدم وأنكر معجزات الأنبياء، وأنكر الاستدلال بالسنة، وأنكر الحدود، وغير ذلك مما ستراه مسطورا في بحثنا هذا .

ولقد ردت عليه جماعة كبار العلماء بتقرير نشر بمجلة الأزهر، والتي كانت تسمى حينئذ نور الإسلام، وألف جماعة من بلده دمنهور ردا على ما ذهب إليه، وعلى عادة الصحافة غير المتخصصة والتي ترى حرية الفكر من غير تمييز بين التبديد والتجديد نشرت له جريدة الأهرام مقالات يهاجم فيها شيخ الأزهر وهيئة كبار العلماء، ولكثرة مشكلات المسلمين وواقعهم الذي لا تخطئه عين، وسحب القيادة من أيديهم، يتشوف كثير من المسلمين إلى أي حديث لعل أن يكون فيه المخرج، ولكن بفكر سطحي محض لا يفرق بين العلم والهوى، ولا بين التفكير السطحي والتفكير العميق، ولا بين مراعاة المآلات والتصور المبدع وبين النزغات الفكرية والتفكير غير المستقيم.

ولذلك فإذا اتبعنا هؤلاء فقد اتبعنا طريق التبديد الذي لا يحل مشكلة بل يزيدها تعقيدا وغالبا ما يكون مثارا للسخرية، ويلقى رفضا عاما من جماهير المسلمين في الشرق والغرب، ويسبب التطرف والتشدد المقابل لهذا التفلت.

فمثلا الدعوة إلى عدم إيقاع الطلاق الشفوي هو دعوى تبديد وليست تجديدا، وستسبب زيادة الطلاق، وتسبب عدم الأمن المجتمعي، وتسبب استهزاء واستهانة بأحكام الله، وفي النهاية لا تحل مشكلة كثرة الطلاق بل إنها تزداد تعقيدا وكثرة، ولن تلقى قبولا لدى المسلمين في العالم ، ولو اتبعنا مثل هذه الآراء غير المؤسسة على القواعد والتي لا تستفيد باجتهاد

السابقين وتفتقد إلى التصور المبدع لترتبت على ذلك مشكلات أعظم من المشكلات التي أردنا حلها.

وعلى هذا النحو خرج أحد المبددين ليجيز التدخين في رمضان، وهي سمة من سمات التبديد، وقد ماتت أفكاره ومستجداته بموته، ولم يلتفت إليها أحد، ولم تكن مدرسة أو مذهبا، ونسي الناس هذا الداعي إلى تلك المهزلة ، كما أنه بذات الطريق وبنفس العقلية أباح القبلة بين الشاب والشابة في الجامعات، وأمثال هذا التفلت من الأحكام لا يؤدي إلى التجديد ولا إلى التقدم.

وعلى مر العصور تميز المبددون إما بإنكار القرآن وإما بإنكار السنة وإما بإنكار جهود العلماء وعدم إدراك معنى واجب الوقت، وإما بعدم إدراكهم للأحكام الزمنية التي ترتبط بعصرها، وإما بإنكار قوانين اللغة العربية والتلاعب بها، وإما بإنكار الإجماع ونقصد به الإجماع كما قرره الأصوليون، والمبدد ينكر واحدة أو أكثر من هذه العناصر فلا تبقى مدرسته، ولا تؤثر لا في الواقع ولا في الدرس الفقهي.

إن المبددين بصورة أو أخرى هم بدايات التطرف ثم الإرهاب، خاصة إذا تكلموا بكلام أهل العلم فلا يبقون على حال، ويتحولون إلى أجيال متتالية ، كل جيل ينحرف عمن كان قبله، إلى أن يصل إلى الإفساد في الأرض.

وادرسوا إن شئتم من أين أتى الإرهاب ومن أين أتى التطرف ومن أين أتى التكفير، والبحث الذي بين أيدينا دعوة لدراسة جادة تقوم على أسس علمية متينة لنقض أصول المبددين ورسم الطريق الصحيح للتجديد .

فندعو الله سبحانه وتعالى أن يتقبله وأن ينفع به . آمين

أ.د علي جمعة

عضو هيئة كبار العلماء

بسم الله الرحمن الرحيم

هو الشيخ محمد أبو زيد ولد بمدينة دمنهور البحيرة نشأ بعيدا عن العلم والعلماء إلا أنه قد حفظ القرآن والتحق عاما بالأزهر الشريف ثم التحق سنتين بدار الدعوة والإرشاد التي أسسها بالقاهرة الأستاذ الشيخ رشيد رضا ولم تعمر تلك الدار طويلا.

وقد سافر في طلب المعاش إلى بعض الأقطار الشرقية الإسلامية كالحجاز وجاوة في أندونيسيا ، فلم يلبث أن عاد مطرودا منها.

له من الأبحاث التي يجمعها مخالفة الكتاب والسنة وإجماع الأمة والتى قصد بها الشهرة والسمعة مدعيا التجديد وهو لم يكن إلا مبددا.

فقد أصدر كتيبا سماه الزواج المدني أنكر فيه التسري وملك اليمين مع ثبوتهما في الإسلام ثبوتا لا شك فيه، وبسبب إنكاره لنبوة آدم ورسالته رفع بعض المسلمين ضده دعوى في محكمة دمنهور الابتدائية والتي حكمت بكفره وارتداده، إلا أنها غيرت الحكم حينما أظهر توبته وإنابته عن ذلك.

كان أبو زيد يتردد كثيرا على بلدة الأستاذ الإمام محمد عبده رحمه الله محلة نصر ، ويوهم أهلها أنه من تلامنته وعلى رأيه ومذهبه فيرحبون به، حتى إنه هجر بلده دمنهور بعدما رد علماؤها على بهتانه، ولكن حينما عرف الشيخ رشيد رضا أنه يروج باسمه هذا الضلال والبهتان على الناس باسم تفسير "الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن". كتب مقالة في الأهرام قطع فيها بنفي الصلة بينه وبين هذا الدعي، وكذا برأ الإمام محمد عبده مما ينسبه إليه أبو زيد من زور وبهتان. ووصف كتابه

المزعوم تفسيرا : إلحاد في القرآن وضلال في الإسلام وحب للشهرة بإخفاء السنة وإظهار البدعة وإنكار إجماع الأمة.

وقال عنه: هو طالب حاجة تزلف إلى قضائها بهدم القرآن وإفساد الدين والطعن في عقائد المسلمين.

وكذلك جاء في وصفه في تقرير هيئة كبار العلماء: وعلى الجملة فقد أراد الكاتب أن يرضي جماعة الماديين على حساب دين الله فذهب إلى أن المعجزات أمر لم يكن، فقال: "إن آية الله في نصر أنبيائه لا تكون مخالفة لسنته في الكون".

في ختام تقريرها قالت: لم يكن يروق العلماء أن يتخذوا التحرش بهم والتحكك بالدين أداة يتعرف بها هذا الإنسان إلى الناس، ولولا أنه الواجب الملقى في عنقهم نهضوا لتأديته صيانة لعقائد البسطاء أن يتسرب إليها حسن الظن بهذه التخرصات إذا لم تصادف نكيرا ممن عهد إليهم حراسة الدين.

وكذلك كان رأي الإمام الذهبي رحمه الله في تفسير أبي زيد فقد ذكره في كتابه "التفسير والمفسرون" مصنفا إياه نموذجا للون الإلحادي في التفسير في العصر الحاضر، وقال عنه:

ووجدنا غير هؤلاء جميعاً رجلاً نُكِس على رأسه، فطوَّعن له نفسه أن يخوض فى تفسير كتاب الله على ما به من غواية وعماية، وأخيراً طلع على الناس بكتاب مختصر فى تفسير القرآن الكريم، تفسيراً جمع فيه الكثير من وساوسه وأوهامه، ثم سوَّل له الغرور أن يسميه "الهداية والعرفان فى تفسير القرآن بالقرآن".

أحدث هذا التفسير ضجة كبرى فى المحيط العلمى، وقام رجال الأزهر وقعدوا من أجله، ثم أُلِّفت لجنة من بعض العلماء لتنظر فى هذا الكتاب،

ثم لتحكم عليه بما ترى فيه، ثم رفعت اللّجنة تقريرها لشيخ الأزهر إذ ذاك، وفيه تفنيد لآراء الرجل وحكم عليه بأنه "أفَّاك خرَّاص، اشتهى أن يُعرف فلم ير وسيلة أهون عليه وأوفى بغرضه من الإلحاد فى الدينبتحريف كلام الله عن مواضعه، ليستفز الكثير من الناس إلى الحديث فى شأنه وترديد سيرته".

ثم صودر الكتاب واختفى عن أعين الناس {فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ}.

وقال الإمام الذهبي عنه: إن الرجل جامد على المحسوسات، جاحد لكثير مما أخبر به القرآن، منكر لأحكام قررها القرآن والسُّنَّة وأجمع عليها الصحابة وأئمة المسلمين من بعدهم.

إن شيخ أبي زيد الشيخ رشيد رضا وكذلك الإمام الذهبي وهيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف وعلماء دمنهور ممثلين في جمعية إحياء الإسلام كانت ترى في أبي زيد الدمنهوري نموذجا للتبديد حيث إنه استهزأ بالعلماء وسخر من مجهودات المفسرين قديما وحديثا، ولم يدرك قيامهم بواجب وقتهم وبذلهم الجهد المخلص في خدمة كتاب الله، وتنكر لقوانين اللغة العربية، وحكم عقله وهواه في فهم كلام الله، كل ذلك من علامات التبديد.

وأما التجديد فإنه يحترم التراث ويحترم العلماء السابقين ويستفيد بمجهوداتهم، ويكمل من ورائهم البناء ويزيد فيه لا ينقضه ويهدمه، والمجدد يدرك الواقع ويحسن إدارته حسب هوية الإسلام، والمجدد يحافظ على الأصول وعلى المعرفة، ويحسن تقدير المآلات .

وأما المستشرق هاملتون جيب فإنه . على الجانب الآخر . يرى في حاشية أبي زيد على القرآن الكريم والتي سماها تفسير الهداية والعرفان ؛ تجديدا وإبداعا.

فيقول ناقلا عن كتاب الإسلام لجيفري: وفي عام ١٩٣٠م نشر شيخ آخر يدعى محمد أبو زيد طبعة عن القرآن مع شروح توجه النقد للشروح القديمة وتفسر الاستشهادات الواردة فيها بشكل محرّف. وعلى الرغم من أن هذه الطبعة كانت تهدف إلى تشجيع الجيل الصاعدعلى دراسة القرآن ، فقد صادر البوليس الكتاب وصدر قانون يحرم على صاحبه التبشير أو الوعظ أو عقد الاجتماعات الدينية.

هاملتون يرى في توهمات أبي زيد تجديدا، وهي ليست كذلك بل هي تبديد للدين وإفساد في الفهم وضلال في المنهج، ولكن لما كان هاملتون مستشرقا ينتمي لثقافة مختلفة وهوية علمانية غربية فإنه ظن أن أبا زيد قد يكون خطوة تزحزح الأمة عن هويتها وأصولها.

أولا: البداية كانت إنكار نبوة آدم ورسالته:

إن شخصية أبي زيد تتميز كغيرها من الشخصيات التي أثارت حول نفسها ضجة برغبتها في التميز والتعالي، فهو يرى في نفسه الإخلاص فيما ذهب إليه ونادى به، ويرى في تجديده المزعوم حقيقة مهمة جدا غابت عن جميع الخلق، ووجب عليه إيضاحها وبيانها لهم حتى يخرجهم من الظلمات إلى النور، فهو يذكر في صدر مقدمة كتابه "مذكرة أبي زيد في قضية آدم" : أبتغي به وجه الله وأعتقد أنه سبب رضوانه فلا سبيل إلى تركه والاستغناء عنه.

فإنكاره لنبوة آدم ووضعه كتابا يستدل فيه على هذا الهذيان يعتبر في نظر المؤلف أمرا لا يجب السكوت عنه إذ علمه وجهله غيره، ثم يستطرد فيعتبر نفسه من المصلحين والذين هم قلة على مدى الزمان وتلك هي سنة الله التي لا تتبدل، ولا جرم أن يرميه غيره من العامة والجهلاء بالكفر والضلال، ويسوق بيتا من الشعر فيه:

إن يحسدوني فإني غير لائمهم قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا

وقد زعم أبو زيد في حديث له بالجرائد أن كتابه المزعوم تفسيرا : الهداية والعرفان . قد صودر بدافع السياسة لا بروح الغيرة على الدين.

وهو يُعرض بذلك بشيخ الأزهر الإمام الأكبر الذي أمر بعد مشورة مجموعة من كبار العلماء بمصادرة هذا الكتاب ومنعه من التداول بسبب ما جاء فيه من تحريف للآي الكريم عن مواضعها وانحراف عن اللغة وتدليس في التاريخ وجحد معجزات الأنبياء التي تدلل على صدق دعوتهم وكذا إنكار حقيقة الجن والملائكة.

وقال أبو زيد عن شيخ الأزهر: إن الشيخ لم يعهد عليه غضب للدين ولا نصرة لأهله.أهـ

فهو يرى نفسه خيرا من شيخ الأزهر ، وأكثر حرصا على الدين ونصرته لأهله ، وأنه مخلصا فيما ينادي به من ضلال لم تغره السياسة ولا الدنيا كما أغرتشيخ الأزهر وغيره من العلماء الذين يهاجمونه ويعترضون على أفكاره التجديدية من أجل السياسة، وهذا كله من مرض النفسية وخرابها، وتلك هي عقلية المبدد الذي يتعالى على الآخرين لا يكن احتراما لغيره.

وفي رد جمعية دمنهور عليه قالوا: ألست تزعم أنه تفسير للقرآن ؟ ومتى كان القرآن موضع آراء سياسية أو خلافات حزبية ؟ إن القرآن للأمة كلها بل هو للعالم بأسره لأنه هدى الله ورشاده وحكمته البالغة غلى خلقه ، وليس فيه حرف واحد إلا والأمة كلها مجمعة على وجوب تقديس مبناه والعمل بمعناه، ثم هو كتاب عربي مبين في أمة عربية يستطيع كل من يقرأه منها أن يفهم على الاقل أغراضه ومراميه، وقد تواتر على الألسنة والآذان قراءته وسماعه زهاء أربعة عشر قرنا حتى لتميز العامة والأطفال بينه وبين أي كلام سواه .أهـ

وقد انتقد أبو زيد أكابر العلماء المسلمين عبر القرون الذين فسروا كتاب الله واجتهدوا في خدمته، فقد قال عنهم في كتابه المزعوم تفسير الهداية: "وقد بلغ الدس والحشو فى التفاسير أنك لا تجد أصلاً من أصول القرآن إلا وتجد بجانبه رواية موضوعة، لهدمه وتبديله، والمفسِّرون قد وضعوا هذا فى كتبهم من حيث لا يشعرون".

فهذا الرجل لا يحترم التراث ولا يقدر مجهودات من سبقه من العلماء المخلصين، ويرى في نفسه مجددا محييا للعلم، وأن من سبقوه ومن عاصروه أقل منه مكانة وعلما.

ووجب التنويه والتوقف عند هذه النفسية وتلك الشخصية التي هي نموذج يتكرر في كثير من العصور وكثير من الفلسفات، ولكنا لا نرضى بتكفير الناس وإخراجهم من الملة، لأن الإسلام صعب، يسهل الدخول فيه ويصعب الخروج منه أو عنه، ويتعامل مع مثل هذه الأفكار والشخصيات على أنها تصورات ظنون وخيالات، يُرَد عليه ويفند قوله وينبه على خطئه وعلى تهافت ما استدل به، ولكن نحسن الظن بالمسلم وإن انحرف في قوله، ونحمل كلامه على أنه توجس أو تخرص، وليس اعتقادا له جازما يتعمد فيه مخالفة الإسلام والخروج عن إجماع المسلمين والتنكر لما ثبت في كتاب الله ضرورة.

ويلوم أبو زيد على من رماه بالكفر ويقول: ورد في الحديث الصحيح "أن المؤمن ليس بسباب ولا لعان" . فالله ورسوله قد أغلقا باب التكفير حتى لا يلجه أحد لمجرد الشهوة ولا يقع فيه مسلم بحكم هواه .

ويرى أبو زيد أن الإجماع الذي خرقه بأقواله ومزاعمه ليس مؤسسا على ما تواتر عن صاحب الشرع كوجوب الخمس، بل هو إجماع مؤسس على الظن وفيه شبهة، فلا يكون إنكاره جحوده كفرا.

ويرى أبو زيد أن رسالة آدم ونبوته ليست من العقائد في شيء، وإنكارها ليس كفرا، فهي أمر ليس معلوما من الدين بالضرورة، فالواجب من وجهة نظره الإيمان ببعثة النبيين مبشرين ومنذرين حتى لا يكون للناس على الله حجة، والإيمان بكثرة الرسل وأن كل أمة كان لها رسول جاءهم بلسان قومه، وعدد الرسل لا يعلمه إلا الله، قال تعالى: (وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ) [النساء : ١٦٤]

فرسالة آدم ونبوته حسب زعم أبي زيد ليست من اليقينيات مطلقا وليس فيها نص من القرآن ولا السنة المتواترة، وإنما هي مسألة ظنية فيها أدلة محتملة، والعقائد مبناها على القطعيات .

وأما قوله تعالى: (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) [طه: ١١٥]

فيفسرها أبو زيد بأنه عهد عام أخذه الله على الناس جميعا حيث فطرهم على التوحيد، وعاهدهم في عالم الذر ألا يعبدوا إلاه ولا يشركوا به شيئا، وهو يشبه بقوله تعالى: (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) [يس: ٦٠]

وقوله : (الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ) [الرعد: ٢٠]

والسبب وراء دعوى أبي زيد إنكار نبوة آدم ورسالته والدافع لذلك هو ما ذكر في القرآن الكريم عن نسيان آدم ووقوعه في الخطيئة، مما يراه لا يستقيم مع كونه رسولا معصوما.

قال تعالى: (فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ) [الأعراف: ٢٢]

قال أبو زيد : وقد فسر هذا النسيان في آية أخرى بالعصيان. .. والمراد من الآية تسلية النبي صلى الله عليه وسلم أي أن طاعة بني آدم للشيطان أمر قديم وأن هؤلاء المعاصرين له إن نقضوا العهد فقد نقض أبوهم آدم كذلك.

ويربط بين ما نسب إلى آدم من النسيان وبين ما ذكر في القرآن عن قوم نسوا الله، وهو أمر غير مستقيم، فمن ذمهم الله عز وجل في القرآن ووصفهم بنسيان الله والغفلة عنه لا يصرف بحال إلى آدم عليه السلام، فآدم لم ينس الله وإنما نسي الأمر، وليس داخلا في قوله تعالى: (نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) [الحشر: ١٩]

ولا قوله : (فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ) [السجدة: ١٤]
وهذا الكلام الساقط هو أصل المخالفة في كلام أبي زيد، فهو لا يتوقف عند إنكار نبوة آدم، بل إنه يسيء إلى آدم عليه السلام، ويربط بين كلام ربنا ربطا خاطئا، ويصرف الكلام ويحمله ما لا يحتمل، فهو أمر كالقص واللزق، وهذا المنهج لا يصح ولا يجوز أن يتعامل به مع كلام ربنا عز وجل.

يقول أبو زيد: وقد يسمى الخطأ ذنبا أو ظلما أو سيئة ولكن لا يسمى معصية، وذلك أن المعصية هي المخالفة عمدا .

يشير إلى قوله تعالى عن آدم عليه السلام: (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) [طه: ١٢١]

وإن إبليس قد استثنى المخلصين من عباد الله من تسلطه عليهم أو إغوائهم.

قال تعالى: (لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) [ص: ٨٣]
وهذا التراتب والاقتباس من القرآن لأجل الذهاب إلى قول قد حُضِّر سابقا وذهب صاحبه ليطوع الأدلة على البرهنة عليه، إن هذا المنهج سيقود صاحبنا أبا زيد إلى أقوال شاذة وهذلية كثيرة، لأن المنهج السقيم يضل صاحبه .

فمن أين جاءت هذه الفكرة لأبي زيد فرأى أن يتبناها ويقول بها ويروجها على هذا النحو، اطلع على هذه الفكرة في تفسير أبي حيان التوحيدي الأندلسي "البحر المحيط" في تفسيره صفحة ١٦٢ من الجزء الأول.

جاء فيه : واحتج من قال : لم يكن نبياً ، بوجوه : أحدها : صدور المعصية عنه بعد ، وذلك غير جائز على النبي. وثانيها : أنه لو كان مبعوثاً لكان إلى أحد، لأن المقصود منه التبليغ ، وذلك لا يكون الملائكة

، لأنهم أفضل ، ولا حوّاء ، لأنها مخاطبة بلا واسطة بقوله: (وَلاَ تَقْرَبَا)، ولا الجن ، لأنهم لم يكونوا في السماء . وثالثها : قوله : (ثُمَّ اجْتَبَاهُ) ، وهذا يدل على أن الاجتباء كان بعد الزلة ، والنبي لابد أن يكون مجتبى وقت كونه نبياً .

فاقتنع أبو زيد بهذه الفكرة ورأي أن يتبناها ويلتمس لها الأدلة، وكل ذلك من المسالك الخاطئة في التعلم والفقه في دين الله، وقد ضل من هذا الباب جماعات كثيرة من الخلق، يهجمون على الكتب فيقرؤونها بغير معلم ولا أستاذ، وبغير أدوات راسخة في الفهم، فيعلق في أذهانهم أفكار غير مؤسسة على منهج سديد، فيضلون في فهمهما.

وختم أبو زيد كتابه بمجموعة من الأدلة الواهية التي تعكس هشاشة التفكير وسذاجة الربط وافتقاده للمنهجية والأدوات كما قلنا:

قال : قص الله علينا النبيين ثم أمرنا بالتخلق بأخلاقهم والاهتداء بهديهم يقصد في سورة الأنعام ولم يذكر فيهم آدم ، قال تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ) [الأنعام: ٩٠]

وقال عن إبراهيم : (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ) [الممتحنة: ٤]

وقال عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) [الأحزاب: ٢١]

بينما قال عن آدم: (يَابَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا) [الأعراف: ٢٧]

فيستنتج من عدم ذكر آدم في سورة الأنعام وأنه لم ينص على كونه أسوة وقدوة حسنة أنه ليس نبيا، ويزيد الأمر فيعتبر آدم دلالة أو علامة على القدوة السيئة التي أمر الله أبناءه ألا ينتهجوا نهجه، ولا يخفى على ذي

عقل عدم صحة هذا الاستدلال المعكوس ، وعدم صحة هذا التأويل والتفسير الذي يوهمك أن الله يعتبر آدم ـ خليفته والذي كرمه فخلقه بيده ـ أسوة سيئة للبشر.

قال: لم يذكر آدم في سورة الأنبياء ولا السور التي اشتهرت بذكرهم كالقمر والشعراء ...فيستدل بذلك حسب وهمه وظنه أنه عليه السلام لم يكن نبيا، ويخطئ العلماء الذين نفوا النبوة والرسالة عن مريم عليها السلام على الرغم من ذكرها مع الأنبياء في بعض السور، وتسمية سورة كاملة باسمها. فكأنه يرد على نفسه بنفسه، ولكن لم يع هذا ، فإن ذكر الرسول أو النبي في سورة من السورة ليس فيه دلالة إثبات ولا نفي لنبوته أو رسالته.

وقال أبو زيد : إن الوحي الذي يأتي الأنبياء لا بد أن يشتمل على التوحيد وأركان الإسلام، فأين الأمر بالعبادة والتوحيد التي ذكرت في وحي آدم إن كان نبيا، وأين أمره بالتبليغ وتبشيره وإنذاره إن كان رسولا وقصته كلها لم يكن فيها شيء من ذلك .

ثم راح أبو زيد يستدل من القرآن والسنة ولكن بنفس المنهج الخاطئ السقيم، فيقول: القرآن فيه أن نوحا أول الرسل. حيث قال تعالى: (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا) [النساء: ١٦٣]

قال: هذه الآية مسوقة لبيان اتفاق الشرائع وتوحيد الدين الذي أوحى الله إلى النبيين والحال يقضي بذكر أولهم وتأمل قوله: (والنبيين من بعده) ولو كان هناك سابق لنوح لذكره أو لقال والنبيين من قبله إذا كان لذكر نوح حكمة غير الأولية ومثلها ما يأتي من الآيات . قال أبو حيان في

تفسيرها : قدم نوحا وجرده منهم في الذكر؛ لأنه الأب الثاني وأول الرسل. ودعوته عامّة لجميع من كان إذ ذاك في الأرض ، كما أن دعوة محمد (صلى الله عليه وسلم) عامّة لجميع من في الأرض .

وقال الرازي : قَالُوا: إِنَّمَا بَدَأَ تَعَالَى بِذِكْرِ نُوحٍ؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ نَبِيٍّ شَرَعَ اللَّه تَعَالَى عَلَى لِسَانِهِ الْأَحْكَامَ وَالْحَلَالَ وَالْحَرَامَ.

ويعمي أبو زيد على القارئ وعلى نفسه عدة أمور : أن ذكر النبي محمد صلى الله عليه وسلم في الآية جاء سابقا على ذكر نوح ولم يكن قبله ولم يكن أول الرسل بعثة، ويعمي علينا جزءا من كلام المفسرين وهي الشطر الآخر من الكلام وهي حيثية الأولية التي حسبوها لنوح من حيث أنه شرع الله على لسانه الأحكام من الحلال والحرام، ومن حيث إنه جاء بدعوة عامة مشابهة لدعوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ولا يفهم من كلام المفسرين أن آدم لم يكن نبيا ولا رسولا ولا في كلامهم الجزم بخلو الزمان من لدن آدم إلى نوح من نبي أو رسول.

واستشهد أبو زيد بتفسير الخازن حيث قال: قال المفسرون: وإنما بدأ الله عز وجل بذكر نوح عليه السلام لأنه أول نبي بعث بشريعة، وأول نذير على الشرك، وأنزل الله عز وجل عليه عشر صحائف، وكان أول من عذبت أمته لردهم دعوته، وأهلك أهل الأرض بدعائه، وكان أبا البشر كآدم عليهما السلام، وكان أطول الأنبياء عمرا عاش ألف سنة لم تنقص قوته ولم يشب ولم تنقص له سن وصبر على أذى قومه طول عمره، ثم ذكر الله الأنبياء من بعده جملة بقوله تعالى: (وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ) ثم خص جماعة من الأنبياء بالذكر لشرفهم وفضلهم. أهـ

وفي الكلام السابق ذِكْرُالحيثيات الأولية التي قدمت ذكر نوح في الآية كما تصورها المفسرون، فهو أول من نزل عليه كتاب أو هو أول من عذبت

أمته لردهم دعوته وغير ذلك من الحيثيات، وكذا ذكروا الحيثية في أنه سبحانه وتعالى خص جماعة من الأنبياء بالذكر دون غيرهم لشرفهم وفضلهم، وكل ذلك اجتهاد من المفسرين في فهم بعض الآيات وتركيبها وسياقها، ولكنا نقول: إن القرآن كلام الله عز وجل القديم الذي جعله معجزة لرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين، وقد جعل الإعجاز في لفظه ومعناه، وقد جاء وفق حكمته سبحانه وإرادته، ولا يمكن لمخلوق أن يجزم باطلاعه أو إحاطته بالحكمة من مجيء كلام الله عز وجل على النحو الذي نزل عليه .

ويستدل أبو زيد من السنة بحديث الشفاعة الذي جاء على هذا النحو:

عَنْ أَنَسٍ – رضى الله عنه – قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – « يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُونَ لَوِ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا . فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ أَنْتَ الَّذِى خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ ، وَأَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ ، فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّنَا . فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ – وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ وَيَقُولُ – ائْتُوا نُوحًا أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ . فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ – وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ ...[متفق عليه]

قال ابن حجر في فتح الباري: وَقَدِ اسْتُشْكِلَتْ هَذِهِ الْأَوَّلِيَّةُ بِأَنَّ آدَمَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَكَذَا شِيثُ وَإِدْرِيسُ وَهُمْ قَبْلَ نُوحٍ، وَمُحَصَّلُ الْأَجْوِبَةِ عَنِ الْإِشْكَالِ الْمَذْكُورِ أَنَّ الْأَوَّلِيَّةَ مُقَيَّدَةٌ بِقَوْلِهِ: أَهْلِ الْأَرْضِ. لِأَنَّ آدَمَ وَمَنْ ذُكِرَ مَعَهُ لَمْ يُرْسَلُوا إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَيُشْكِلُ عَلَيْهِ حَدِيثُ جَابِرٍ وَيُجَابُ بِأَنَّ بَعْثَتَهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ بِاعْتِبَارِ الْوَاقِعِ لِصِدْقِ أَنَّهُمْ قَوْمُهُ بِخِلَافِ عُمُومِ بَعْثَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِقَوْمِهِ وَلِغَيْرِ قَوْمِهِ، أَوِ الْأَوَّلِيَّةُ مُقَيَّدَةٌ بِكَوْنِهِ أَهْلَكَ قَوْمَهُ، أَوْ أَنَّ الثَّلَاثَةَ كَانُوا أَنْبِيَاءَ وَلم يَكُونُوا رسلًا، وإلى هَذَا جنح ابن بَطَّالٍ فِي حَقِّ آدَمَ، وَتَعَقَّبَهُ عِيَاضٌ بِمَا صَحححهُ ابن حِبَّانَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي

ذَرٍّ فَإِنَّهُ كَالصَّرِيحِ فِي أَنَّهُ كَانَ مُرْسَلًا، وَفِيهِ التَّصْرِيحُ بِإِنْزَالِ الصُّحُفِ عَلَى شِيثَ وَهُوَ مِنْ عَلَامَاتِ الْإِرْسَالِ، وَأَمَّا إِدْرِيسُ فَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ إِلَى أَنَّهُ كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ وَهُوَ إِلْيَاسُ، وَقَدْ ذُكِرَ ذَلِكَ فِي أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ وَمِنَ الْأَجْوِبَةِ أَنَّ رِسَالَةَ آدَمَ كَانَتْ إِلَى بَنِيهِ وَهُمْ مُوَحِّدُونَ لِيُعْلِمَهُمْ شَرِيعَتَهُ، وَنُوحٌ كَانَتْ رِسَالَتُهُ إِلَى قَوْمٍ كُفَّارٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ. أهـ

ومن التناقض في طريقة أبي زيد ومن شاكله وفي منهجه في التفكير أنه يأخذ بالسنة وينكرها ويستدل بها حينما يرى فيها أو يظنها مؤيدة لدعواه، ويرد السنة وينكرها حينما تكون معارضة لرأيه .

فهو يعترض على العلماء الذين استدلوا بحديث أبي ذر على نبوة آدم ورسالته، فيقول: وأقل ما قيل فيه : إنه ضعيف كما حقق السيوطي في الدر المنثور وجزم ابن حزم ...

وهذا المنهج الذي يتلاعب بالأدلة ويجتزئ منها ويحرف في تأويلها ويضرب بعضها ببعض هو المنهج الفاسد الذي ضل في بابه كثير عبر التاريخ، وقد نبهنا عليه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: "يرث هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه: تأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، وتحريف الغالين". [سنن البيهقي الكبرى:ج١٠/ص٢٠٩ ح٢٠٧٠٠]

ونختم الكلام على مذكرة أبي زيد والتي قدمها إلى محكمة دمنهور يرد بها على دعوى تكفيره والتفريق بينه وبين زوجته على خلفية إنكاره لنبوة آدم ورسالته، نقول: إن أبا زيد يذهب في ثنايا كلامه إلى أبعد من إنكار نبوة آدم إلى التركيز على فكرة الخطيئة العظمى، خطيئة آدم أبي البشر، الخطيئة التي تعد من الركائز التي قامت عليها العقيدة النصرانية التي تشكل خطيئة آدم ركنا فيها، تلك الخطيئة التي ركبت البشر جميعا من

نسل آدم ولم تغفر أو تمح حتى أرسل يسوع مخلصا ، فأبو زيد يعظم من شأن الخطيئة التي وقع فيها سيدنا آدم عليه السلام، حتى لا يصح معها أن يكون نبيا أو رسولا وإنما ناسيا مخطئا ليس له عزم وغير ذلك مما ساقه في ثنايا رده في مذكرته، فهو متأثر في رأيه برافد خارج عن العقيدة الإسلامية والتي تنظر إلى خطيئة آدم على أنها معصية كان السبب فيها جبلة آدم على النسيان ومعاداة الشيطان له وغوايته، وهو أمر انتهى حينما تذكر آدم وانتبه وألهمه ربه بكلمات فتاب عليه وعفى عنه، ولم يرث أبناء آدم شيئا من هذه الخطيئة والتي قد محيت وانتهت، ولا ينظر إليها المسلمون على أنها تنال من عصمة آدم كرسول ونبي إلى أولاده من بعده بعد خروجه من الجنة ونزوله إلى الأرض.

ثانيا: تفسيره "الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن".

وضعت جمعية حياة الإسلام في دمنهور كتابا ترد فيه على أبي زيد ابن مدينتها التي تبرأت منه ومن ادعاءات وافتراءاته وكذبه، وسمته " تنوير الأذهان وتبصرة أهل الإيمان في الرد على كتاب أبي زيد المسمى بالهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن".

وكتابه الهداية والعرفان والذي خلا من كل هداية أو عرفان إلا في زعم المؤلف وخياله، وإنما امتلأ بالضلال والبهتان، جحد فيه السنة وأبطل إجماع الأمة وشذ فيه عن كل فهم سديد وخالف حقائق اللغة ووقائع التاريخ وبديهيات العقل كما سنرى قريبا.

وهذا المنهج هو منهج الذين في قلوبهم زيغ الذين يتبعون ما تشابه منه، ويخالفون أصول الدين ويضربون الكتاب بعضه ببعض، ويخرجون عن أساليب اللغة ومقتضى وضع ألفاظها، وحكموا عقولهم وأهوائهم في كلام الله، ولم يجعلوا للسنة الصحيحة اعتبارا في تفسيرهم لكتاب الله ، وهذا نهج الباطنية والقرامطة والبهائية في خدمة مذهبهم وشهواتهم.

وهناك فارق كبير بين التفسير الإشاري والتفسير الباطني، فإنك إن اطلعت على كتب التفسير الإشاري قد تظن مماثلة وتقاربا مع كلام هذا المؤول ومن اقتفى أثرهم من الباطنية أو الحشاشين، وليس الأمر كذلك فالباطنية يصرفون الآية عن معناها المنقول أو المعقول إلى ما يوافق بغيتهم بدعوى أن هذا هو مراد الله دون ما سواه، وأما أصحاب الإشارات فإنهم كما قال أبو بكر بن العربي في كتاب العواصم من القواصم: جاءوا بألفاظ الشريعة من بابها، وأقروها على نصابها، لكنهم زعموا أن وراءها معاني

غامضة خفية، وقعت الإشارة إليها من ظواهر هذه الألفاظ، فعبروا إليها بالفكر، واعتبروا منها في سبيل الذكر.

فأصحاب الإشارات لا ينفون كما ينفي الباطنية وأذنابهم المعنى الذي يدل عليه اللفظ العربي من نحو القصص والأحكام والمعجزات، وإنما يقولون: إنهم يستفيدون من وراء تلك المعاني وعلى طريق الاعتبار معاني فيها موعظة وذكرى.

وقد جاء في رد الجمعية عليه بأن قالت: كل ما جاء في تلك الهوامش المزيفة التي سماها كاتبها تفسيرا للقرآن من ضلال في الدين وافتراء عليه يمكن ضبطه وجمعه في أربعة أصول رئيسية:

الأول: إنكار معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وتأويلها تأويلا فاسدا يخرجها عن حقيقتها ، وينفي عنها معنى الإعجاز الذي قصد الله به إثبات صحة رسالتهمن بدعوى أن المعجزات إذا فهمت على حقيقتها تنافي السنن الإلهية والنظم الكونية ، وهذا أمر ـ حسب زعمه ـ لا يتأتى من الله فعله.

الثاني: إنكار ماهيات ثابتة بنص القرآن وتأويلها تأويلات فاسدة تصرفها عن حقيقتها كالجن والملائكة وإبليس والشيطان والجنة والنار.

الثالث: تخريجات فقهية فاسدة . كجعله الاعتياد شرطا في إقامة الحد على الزاني والسارق والزيادة الفاحشة شرطا في تحريم الربا وإنكاره جواز الوطء بملك اليمين .

الرابع: إنكاره السنة القولية. وقصره سنة النبي صلى الله عليه وسلم على بيان الطريقة العملية في الكتاب فقط، فلا يصح عنده أن نرجم الزاني إذا كان محصنا لأن الرجم لا وجود له في الكتاب وإن كان هذا هو عمل النبي صلى الله عليه وسلم وحكمه فلقد رجم ماعزا والغامدية.

أما الأول: وهو إنكار معجزات الأنبياء.

فإن أبا زيد ينكر جواز حدوث المعجزات من حيث هي خرق للعادة وخرق للسنن الكونية، وهذا أمر مخالف لاعتقاد المسلمين وإجماعهم، فإن المسلمين يعتقدون في أن الله سبحانه يجوز له أن يكسر السنة الكونية ويخرقها ويخالفها تأييدا لأنبيائه وتصديقا لهم في دعواهم الرسالة، وهذه المخالفة تجري أيضا على مقتضى الحكمة وتدل على وجود الخالق وتسلطه على خلقه وأنه من رتب السنة وهو من يملكها ويملك كسرها .

وينكر أبو زيد جواز حدوث المعجزة، ويذهب إلى تأويل كل ما جاء في القرآن الكريم من معجزات للأنبياء عليهم السلام، تأويلا بعيدا غير معقول.

وقد ذكرت الجمعية في ردها عليه : هل يريد المفسر بعدم جواز خرق السنن أن خرقها مستحيل عقلا، بمعنى أنه شيء لا يتصور العقل وقوعه وحصوله، أو هو لا يمنع ذلك عقلا ولكنه يقول باستحالته في العرف والعادة فقط؟

فإن كان يريد الأول فقد أخطأ خطأ فاحشا، لأن العقل لا يمانع أية ممانعة ولا يرى بأسا في أن يخرق الله هذه السنن الكونيةكلها أو يبدلها بمثلها أو على غير مثالها، أو لا يبدلها أصلا إن شاء، وكيف يمانع العقل في ذلك وهو الذي سيقع فعلا من الله تعالى . قال جل شأنه: (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ) [إبراهيم : ٤٨]

وقال تعالى: (يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) [الأنبياء: ١٠٤]

فهذه النواميس الكونية كلها ليس فقط من الجائز العقلي أن تبدل وتغير ، بل هي ستبدل وتغير على التحقيق.وإذا كان الله هو الذي يملك ذلك كله في الحال والمآل فما المانع من أن يؤيد ببعضه أنبياءه ورسله؟

وإن كان يريد المعنى الثاني وهو استحالة خرق السنن الكونية بحسب العادة والعرف، فهذا صيحيح، ولكن عليه أن يفهم أنه لولا استحالة خرق هذه السنن في العادة لما كان خرقها للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام آية لهم ومعجزة إذ المعجزة هي الأمر الخارق للعادة، وكيف يكون ذهاب محمد صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس فضلا عن صعوده إلى السموات العلى وعوده إلى مكة ثانية في جزء من الليل كيف يكون ذلك آية ومعجزة لولا أنه خارق للعرف ومستحيل في العادة ومعجز لكافة الخلق؟

ولكن الأمر قد التبس عن المفسر ففهم أن الذي يستحيل علينا نحن عمله عادة يستحيل على الله كذلك أن يعمله فمثلا، إذا كنا نحن لا نستطيع أن نكون علماء إلا إذا أخذنا بأسباب العلم فطلبناه من أهله وتلقيناه عنهم.

يقول أبو زيد عن عصا موسى وبياض اليد إنها لم تكن شيئا حقيقيا وإنما هي تمثيل وتصوير أراد الله أن يبين لموسى به قوة حجته وغلبته على أعدائه بتأييده ونصره.

والخيال وهم كاذب لا يصح أن ينسب إلى الوحي وليس هو في شيء منه فضلا عن أنه لا يفيد وقوع ما تخيله الشخص ولا يثبت وقوعه.

وعندما تعرَّض لقوله تعالى: (وَأَوْحَيْنَآ إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً) الآية [١٦٠] من سورة الأعراف قال: "ويصح أن يكون الحجر اسم مكان، واضرب بعصاك

الحجر، معناه: اطرقه واذهب إليه، والغرض أن الله هداه إلى محل الماء وعيونه".

قال تعالى: (فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّاظِرِينَ)[الأعراف ١٠٧، ١٠٨] يقول: "مثال من قوة حُجَّته وظهور برهانه".

وعلى هذا الأساس الفاسد من التأويل تناول الرجل آيات المعجزات فخرج بها عن مدلولها الحقيقى الذى أراده الله تعالى.

ويقول عن معجزات عيسى عليه السلام:

فمثلاً عندما تعرَّض لقوله تعالى فى الآية [٤٩] من سورة آل عمران فى شأن عيسى عليه السلام: (أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِي؟ أَخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِىءُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذالِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) يقول ما نصه: {كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ} يفيدك التمثيل لإخراج الناس من ثقل الجهل وظلماته إلى خفة العلم ونوره، {الأَكْمَهَ} من ليس عنده النظر، {الأَبْرَصَ} المتلون بما يُشوِّه الفطرة، فهل عيسى يُبرئ هذا بمعنى أنه يُكمل التكوين الجسمانى بالأعمال الطيبة؟ أم بمعنى أنه يكل التكوين الروحى والفكرى بالهداية الدينية؟ {فِي بُيُوتِكُمْ} يعلمهم التدبير المنزلى".

قال أبو زيد: من هذا تعرف أن عيسى نبى أرسله الله إلى بنى إسرائيل ليشفى نفوسهم، ويحيى موت قلوبهم، فآيته فى دعوته وسيرته وهدايته. عاش ومات كغيره من الأنبياء فى بِشريته، فلم يكن خارقاً فى سُنَّته، ولا ممتازاً بما يدعو إلى أُلوهيته وعبادته". أهـ

وينكر أن يكون عيسى عليه السلام قد تكلَّم فى المهد، وذلك حيث يُؤوِّل قوله تعالى فى الآية [٤٦] من سورة آل عمران: (وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً) ما نصه: "فى المهد: فى دور التمهيد للحياة وهو دور الصبا، علامة على الجرأة وقوة الاستعداد فى الصغر. وكهلاً: علامة على أنه لا يفل عزمه بالشيخوخة والكبر – ويصح أن يكون المعنى: يكلم الناس الصغير منهم والكبير، علامة على تواضعه ومباشرة دعوته بنفسه".

موقفه من معجزة إبراهيم عليه السلام:

وعندما عرض لقوله تعالى فى الآية [٦٩] من سورة الأنبياء: (قُلْنَا يانَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ) فيقول: "معناه: نجَّاه من الوقوع فيها ، وترى فى الآية وباقى القصة أن الله نجَّاه بالهجرة وخيَّب تدبيرهم.

موقفه من معجزات داود عليه السلام:

وعندما عرض لقوله تعالى فى الآية [٧٩] من سورة الأنبياء: (فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ)

يقول: {يُسَبِّحْنَ} يُعبِّر عما تُظهره الجبال من المعادن التى كان يُسخِّرها داود فى صناعتها الحربية، {وَالطَّيْرَ} يُطلق على ذى الجناح وكل سريع السير من الخيل والقطارات البخارية والطيَّارات الهوائية".

موقفه من معجزات سليمان عليه السلام:

وعندما عرض لقوله تعالى فى الآية [٨١] من سورة الأنبياء: {وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا} نجده يقول: {تَجْرِي بِأَمْرِهِ} الآن تجرى بأمر الدول الأوروبية وإشارتها، فى التلغرافات والتليفونات الهوائية ... اقرأ سبأ".

وفى سورة النمل عند قوله تعالى فى الآية [١٦]: (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَاأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ) .. يقول: {مَنطِقَ الطَّيْرِ} كل من يربى الطير ويؤلِّفه يمكنهم أن يتعلموا منطقه وماذا يريد، ويمكنهم أن يستعملوه فى الرسائل وغيرها".

وفى قوله تعالى فى الآية [١٨] من السورة نفسها: (حَتَّى إِذَآ أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَاأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُواْ مَسَاكِنَكُمْ) نجده يقول: {نَمْلَةٌ} قبيلة، {النَّمْلِ} قبائل الوادى".

موقفه من معجزة الإسراء بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم:

وعندما تعرَّض لقوله تعالى فى أول سورة الإسراء: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَآ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} .. نجده يقول: {أَسْرَى} الإسراء يُستعمل فى هجرة الأنبياء .. انظر [٧٧ فى طه] و [١٣٨ فى الأعراف] و [٥٢ فى الشعراء] و [٢٣ فى الدخان] و [٨١ فى هود] و [٦٥ فى الحج]، ثم تدبر آخر النحل وعلاقته بالإسراء: {الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} الذى له حُرْمة يُحترم بها عند جميع الناس [٢١٧ و ٢١٨ فى البقرة] و [٢٥ فى الحج]، {الْمَسْجِدِ الأَقْصَى} الأبعد، مسجد المدينة وقد بارك الله حوله، فكان للنبى صلى الله عليه وسلم هنالك ثمرة وقوة، وكان بالإسراء الفتح والنصر فكان ذلك من آيات الله .. انظر [٢٠ يس] و [١٠٨ التوبة] ثم ارجع إلى الإسراء فاقرأ إلى [٦٠، ٩٣]".

والأدلة كلها من النقل والواقع تؤيد أن الإسراء كانت حادثة مستقلة عن حادثة الهجرة. ولكن ليس مفسرنا ممن يأخذون بالدلائل والبراهين ولا هو ممن يقتنعون حتى بالواقع المشاهد ، وإنما هي نزغة هوى ونزوة طيش وضلال في تكبر، وجهل في غرور ، وغواية لا تقبل الرشاد والهداية.

ثانيا: إنكار ماهيات وحقائق ثابتة بنص القرآن.

قال عن الآية : (يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا) [البقرة: ٣٥]

فأبو زيد يفسر الجنة على أنها (نعيم الزوجية) أي السعادة التي تنتج عن حسن المعاشرة بين الزوجين، وليست جنة على الحقيقة، وقد صرف اللفظة عن معناها الحقيقي مع أن كل القرائن تؤكده وتدل عليه كقوله (اسكن) وقوله: (وكلا منها) وقوله: (ولا تقربا هذه الشجرة)، وليست هناك أية أمارة أو قرينة تصرف المعنى عن ظاهره.

وهذا تحكم غير جائز في اللغة وإفساد لأوضاعها وحل للألفاظ عن ربقة التقيد بمعانيها التي وضعت هي لها حتى لو سميت الرجل فرسا والفرس رجلا لم يكن عليك في ذلك أي بأس.

وما دامت الألفاظ غير متقيدة بمعانيها الخاصة التي لا يجوز أن تنفك عنها إلا بقانون فتلك إذا هي فوضى اللغة ، وليتكلم من شاء بما شاء.

وقال المفسر في بيان معنى الملائكة هم : رسل النظام وعالم السنن. قال في تفسير قوله: (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) قال: وسجودهم للإنسان معناه: إن الكون مسخر له.

وأما قوله تعالى: (جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ) [فاطر: ١] قال: يمثل لك السرعة في إجراء سننه في الكون وتنفيذ أوامره في العالم.

فأبو زيد لا يقبل بما يعتقده المسلمون في وجود عالم الملائكة بالمعنى الذي أجمعت عليه الأمة ، وإنما المراد منها عنده كل كائن من الكائنات الحية أو الجمادية التي سخرها الله سبحانه لبني الإنسان تعينه على ضروريات معاشه ومرافق حياته.

وهو مراد فاسد وراي خاطئ لا يساعده عليه دليل. بل فيه مخالفة واضحة لصريح القرآن الكريم ، فلقد خاطبهم الله بقوله : (إني جاعل في الأرض خليفة) فردوا عليه بقولهم: (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك)

فالتخاطب على هذه الكيفية ينادي صريحا بأن المخاطب عالم خاص يفهم الخطاب ويرد عليه، هل يظن أبو زيد أن وجود الملائكة حسبما يعتقد المسلمون يلزمه محال؟ أم يعتقد أن قدرة الله غير صالحة لإيجاد مخلوق غاية في الغرابة وآية في القوة وعنوان في العظمة . أم لعله يرى أن الممكن قاصر على ما يقع تحت حسه وإدراكه فقط، فتخيل أن وجود عالم كهذا من المحال لا من الممكن الواقع.

وأظنه يسعى أو يفكر في إنكار الغيب يوغل في الحسية والمادية .

تأويله للجن:

عند قوله تعالى فى الآية [٧١] من سورة الأنعام: (كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ) ... الآية، نجده يقول: {الشَّيَاطِينُ} تُطلق على الحيَّات والثعابين، تستهوى مَن يتبعها ليقتلها فيهوى معها وتضله بتعرجها .

وعند قوله تعالى فى الآيتين [٢٦، ٢٧] من سورة الحِجْر: (وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ) .. يقول: "يمثل لك بوصف الإنسان، النوع الهادئ صاحب الطبع الطينى الذى تشكله كما تريد، {وَالْجَآنَّ} النوع المتشرد صاحب الطبع النارى، إذا قاربتعه يؤذيك ويغويك، ولا تستطيع أن تمسكه وتعدله، والنوعان موجودان فى كل أمة، فتدبر السياق من أول السورة، وراجع القصة فى البقرة".

وعند قوله تعالى فى الآية [١٧] من سورة النمل: (وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْس).. يقول: {الْجِنِّ} يُطلق على العالَم الخفى والظاهر القوى، وجن كل شىء أوله ومقدمته، وجن الجيش قُوَّاده ورؤساؤه، {وَالإِنْس} طائعوه ومرءوسوه .

ثالثا: ما جاء في كتابه من تأويلات فاسدة وتخريجات فقهية باطلة.

إنكاره لأحكام من الدين لم ينازع فيها أحد من المجتهدين:

حد السرقة:

عند قوله فى الآية [٣٨] من سورة المائدة: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا} ... الآية، يقول: "واعلم أن لفظ السارق والسارقة يعطى معنى التعود. أى أن السرقة صفة من صفاتهم الملازمة لهم، ويظهر لك من هذا المعنى: أن مَن سرق مرة أو مرتين ولا يستمر فى السرقة ولم يتعود اللصوصية لا يُعاقَب بقطع يده، لأن قطعها فيه تعجيز له، ولا يكون ذلك إلا بعد اليأس من علاجه".

حد الزنا:

وعند قوله تعالى فى الآية [٢] من سورة النور: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُواْ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ} ... الآية، نجده يقول: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي} يُطلق هذا الوصف على المرأة والرجل إذا كانا معروفين بالزنا وكان من عادتهما وخُلُقهما، فهما بذلك يستحقان الجَلْد".

وقد خلط المفسر بين اسم الفاعل وصيغة المبالغة ، فإن اسم الفاعل في اللغة يدل على ذات قامت بها الفعل ولا دلالة له على تجدد قيام الوصف بالذات ولا تعودها عليه ، وأما صيغة المبالغة فهي التي تدل على معنى زائد على حدوث الصفة لمن قامت به ، وهو قوتها فيه أو كثرة صدورها منه. وهذا كلام علماء اللغة قديما وحديثا.

تعدد الزوجات:

فى الآية [٣] من سورة النساء: {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَآءِ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ} .... الآية، نجده يقول: {مِّنَ النِّسَآءِ} نساء اليتامى الذين فيهم الكلام – هكذا بالأصل – لأن الزواج منهن يمنع الحرج فى أموالهن، ومن هذا تفهم أن تعدد الزوجات لا يجوز إلا للضرورة التى يكون فيها التعدد مع العدل أقل ضرراً على المجتمع من تركه، لتعلم أن التعدد لم يُشرع إلا فى هذه الآية بذلك الشرط السابق واللاحق {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ}: "فإن خفتم ألا تعدلوا".

فهو يريد أن يبيح تعدد الزوجات إلا إذا كُنَّ يتامى فى حجره، وأمن من نفسه عدم الجور، ولم يقل أحد بالشرط الأول مطلقاً، ومَن يطلع على سبب النزول يعلم خطأ مَن يشترط هذا الشرط فى التعدد.

التسرِّى:

وعند قوله تعالى فى نفس الآية السابقة: {فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} .. نجده يقول: انظر آية [٢٥ إلى ٢٨ من النساء].

وفى الآية [٢٥] وهى قوله تعالى: {وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ} .. يقول: "فيه عناية بالخادمات، وتسهيل لمن يريدون الزواج. ولا يستطيعون النفقات على ذوات البيوتات، انظر [٣٣ فى النور] و [٦٠ فى الكهف] ثم [٣٠، ٣٦، ٤٢، ٦٣ فى يوسف]، {الْعَنَتَ}: الحَرَج: انظر [٢٢٠ فى البقرة] و [٧ فى الحجرات] و [١٢٨ فى التوبة] و [١١٨ فى آل عمران]. وفى هذه الآية رد على الذين يتخذون مِلْك اليمين من الخادمات والوصيفات للتمتع بهن كالزوجات، بحجة أنهن مشتريات بالمال، أو أسيرات بالحرب، فليس فى الإسلام عرض امرأة يُباح بغير الزواج، مملوكة كانت أو مالكة، فتدبر ذلك فى الآيات".

وفى قوله تعالى فى الآيتين [٥، ٦] من سورة المؤمنون: {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ} ...الآية، يقول: "اقرأ المعارج، والنور، وأوائل البقرة".

ثم قال فى المعارج عند قوله تعالى فى الآيتين [٢٩، ٣٠]: {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ} ما نصه: {أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ} من الخدم، فإن لهم ما ليس لغيرهم، فقد يكون فى الإنسان فروج – أى عيوب ونقائص – يسيئه أن يراها الناس فيه، ولكن لا يسيئه أن يراها خدمه".

فأنت ترى من هذا أنه يُحَرِّم التسرِّى، ويُفَسِّر الفروج بالعيوب، وهذا بُعْدٌ عن قوانين اللُّغة، ومبادئ الشريعة.

الربا:

كذلك نجد المؤلف يميل إلى أن الربا المحرَّم شرعاً هو الفاحش فقط، ولهذا نراه عندما يعرض لآيات الربا فى سورة البقرة يُفسِّر "الربا" فيقول: "الربا هو الزيادة من الربح فى رأس المال، وهو معروف ومقيَّد بالآية (يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافاً مُّضَاعَفَةً) (الرِّبَا أَضْعَافاً مُّضَاعَفَةً) أى الربا الفاحش وبمعنى آخر: الربح الزائد عن حده فى رأس المال. وتُقدِّره كل أُمّة بعُرفها. راجع فى جزائه أواخر البقرة، وقصة اليهود فى أواخر النساء، ثم ارجع إلى [٥ فى النساء و ٤٣]".

زكاة الزروع:

ويذهب فى زكاة الزروع مذهباً لم يقل به أحد من المجتهدين فضلاً عن أنه يصادم ما جاء من السُّنَّة الصحيحة فى بيان المقدار الواجب فى زكاة الزروع، وذلك حيث يُفسِّر قوله تعالى فى الآية [١٤١] من سورة الأنعام:

(وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) فيقول: يفيد أن فى كل هذا الخارج من الأرض حقاً لا بد من إعطائه، وقد ترك التقدير للأُمة بحسب الحال.

فهو يضرب بالقدر الذي عينه رسول الله صلى الله عليه وسلم في زكاة الزروع عرض الحائط ويجعل الأمر راجع إلى تقدير الأمة.

الطلاق:

يذهب إلى أن الطلاق لا يقع إلا إذا كان سببه أمرا يخل بنظام العِشْرة، وآتيا من قِبَل المرأة، قال تعالى: (لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلاَ يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ) ما نصه: (بُيُوتِهِنَّ) بيوت الزوجية ؛ لتعرف أن الطلاق وإن كان فى يد الرجل لا يقع إلا بسبب يخل بنظام العِشْرة الزوجية".

رابعا : إنكاره الأخذ بسنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

زعم المفسر أن السنة التي يؤخذ بها ويعمل هي فقط ما كان بيانا وتوضيحا لما في كتاب الله فقط، فقد وضع في مقدمة تفسيره عنوانا "السنة" جاء فيه: والسنة هي الطريقة العملية في تطبيق الكتاب، فوظيفة الرسول تبليغ الكتاب وهداية الناس بالعمل به.

وهذا الكلام يرمي به صاحبه إلى إنكار السنة بمعناها الذي أطبقت عليه الأمة فهي ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا أو فعلا أو تقريرا. وجريا على مذهبه فإنه ينكر الرجم للزاني المحصن حيث لم يذكر بالكتاب، ولن نحرم الجمع بين المرأة وخالتها أو المرأة وعمتها، وغير ذلك من الأحكام التي جاءت بها السنة القولية الصحيحة.

ويلتف المفسر في سبيل إثبات رأيه على تفسير آيات من الكتاب العزيز تجعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم طاعة على المؤمنين وأن طاعته واجبة وجوب طاعة الله .

قال تعالى : (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا) [النساء: ٨٠]

وقال تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَوَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) [النساء: ٥٩]

وقال تعالى: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) [النساء: ٦٥]

وقال تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ) [الحشر: ٧]

كل هذه الآيات تسقط دعوى المفسر بقصر السنة على تطبيق ما في الكتاب وبيان مجمله فقط.

وقال أبو زيد فى تفسير قوله تعالى فى الآية [٦٣] من سورة النور: (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ): "يفيدك أن المخالفة المحذورة هى التى تكون للإعراض عن أمره، وأما التى تكون للرأى والمصلحة فلا مانع منها بل هى من حكمة الشورى" .

فهو يجيز مخالفة أمر الرسول للمصلحة، وأى مصلحة تخالف ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

وأين هو من قوله تعالى: (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) [المائدة: ٤٤]

وفي الختام نقول إن التجديد والتبديد قد يصدران عن حسن النية، وقد يجمع الشخص بين التجديد والتبديد في آن واحد، وإن النزعة المادية والعلمانية التي بهرت علماء المشرق في القرن الماضي قد جعلتهم يخلطون بين التجديد والتبديد ولا يفرقون بينهما، فالتجديد مطلوب وهو ضرورة، ولكن يجب الحفاظ على الأصول الشرعية واحترام الأدلة وتوقير الإجماع وعدم الخروج على هوية الإسلام ولا ضرورياته، وقد كان أبو زيد نموذجا وعلامة للتبديد جرى على جريه أمثال محمد نجيب والذي أنكر السنة وجاء بأقوال وبدع سخيفة ، وقد انتهت بتركه الإسلام صراحة ودخوله في النصرانية، فنسأل الله عز وجل العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة.

مؤتمر
كلية
الدراسات
الإسلامية

مراجع الدراسة

١. مذكرة أبو زيد في قضية آدم، محمد أبو زيد الدمنهوري، مطبعة السعادة بمصر، ١٣٣٦هـ.

٢. الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن ، محمد أبو زيد الدمنهوري، طبع ١٩٣٠م.

٣. الطلاق والزواج المدني ، محمد أبو زيد الدمنهوري.

٤. التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، دار الحديث القاهرة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م. ج٢ [٥٣٢ – ٥٤٧]

٥. دعوة تجديد الإسلام، هاملتون جيب، دار الوثبة. ص٧١.

٦. تنوير الأذهان وتبصرة أهل الإيمان في الرد على كتاب أبي زيد المسمى بـ الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن، جمعية حياة الإسلام ، سنة ١٣٤٩هـ.

٧. مجلة نور الإسلام ، مجلد ٢ [١٦٣-٢٠٥، ٢٤٩-٢٨١].

مؤتمر
كلية
الدراسات
الإسلامية